الى بعض في سلّم الارتقاء كما ترى في الشكل الثالث المرسوم في الصفحة السابقة وتظهر منهُ نسبة طوائف الناس بعضها الى بعض من حيث ارتقاء البنية فانهُ وضع النجريتو والبشمان والهوتنتوت والبابوان والزنوج في اسفل هذه الشجرة وجعلهم متفرعين من فرعين كبيرين وجعل الاستراليين والتسمانيين فرعاً آخر فوق فرع الزنوج. والاسكيمو والسامويد واللاب والمجار والفن من فرع آخر قريب من فرع الاستراليين. وقسم اعلى الشجرة الى فرعين كبيرين في اوطاهما اليابانيون والصينيون والملقيون وهنود اميركا وفي اعلاها الآريون والساميون والبولينيزيون سكان جزائر الباسيفيكي المشهورون باعتدال القامة وكمال الخلقة

ورسم في الشجرة الثانية طوائف الناس من حيث ارتقاؤهم العقلي كما ترى في الشكل الرابع ففرّع منها فرعاً كبيراً وضع الاستراليين في اسفلها وفوقهم النجريتو فالزنوج فالكفرة والهوتنتوت فالبابوان فاللاب والاسكيمو فالسامويد وفوقهُ فرع هنود اميركا ثم فرع الملقيين وفرع الصينيين واليابانيين وفي اعلاها فرع الآريين والساميين . وعليهِ فالساميون والآريون في اعلى شجرة نوع الانسان عقلاً وجسماً وتحتهم الصينيون واليابانيون والملقيون وهنود اميركا ثم تأتي بقية طوائف الناس تحت ذلك

وقد اجتزينا بهذا الفصل عن فصل الفراسة لدخولهِ في موضوعها وسنعود اليها في الجزء التالي

منزلة الشعر من التاريخ

توطئة

التاريخ شخص العمران المجسم للعيان وراويتهُ البليغ اللسان يقصُّ علينا اخبار الماضين تبصرةً وذكرى للباقين وانموذج عبرة للمعتبرين يعرب عن اسباب البقاء ودواعي الفناء وبواعث الانحطاط والاعتلاء وكيف ضافر النجاح ذوي النبل حتى دانت لهم المناكب والهام ولماذا خذل الجدُّ الزعانف حتى داستهم المناسم ووطأتهم الأقدام

والشعر أهرام التاريخ الناطقة بآثار الامم في حالتي الصولة والصغار وبرج المآثر الخالد مع الدهر خلود الليل والنهار يخطِّطُ المعالم والمواطن تخطيط الجغرافي الحاذق ويذكر الشعوب والاقوام ذكر المؤرخ الخبير ويسلسل القبائل والعشائر نظير النسَّابة المدقق ويصف السجايا والطباع وصف الاخلاقيّ الحكيم ويبسط اخبار الدول والممالك بسطاً يتعذَّر على الأثريّ المحقق

ان يأتي بمثلهِ فضلاً عن انهُ معجم اللغة الذي لا مراء في قولهِ ودستور قواعدها الذي لا رجوع في حكمهِ وشارعها المنصف الذي لا مردَّ لما ارتضاهُ وقضى بهِ

ومن ينكر علينا ذلك ونحن لدى امعاننا النظر في قصائد الشعراء الجاهليين والمُخَضرمين ومن أخذ عنهم في صدر الاسلام نُمثِّل لنا عاداتهم واخلاقهم وآداب مجالسهم وصفات امرائهم ومنازلهم وملابسهم ومتاجرهم وحكمة رؤسائهم تمَّا لا يبقى معهُ شكٌّ في تعيين مرتبة الامة العربية قبل الرسالة الاسلامية والاعتراف بسموّ مداركها ورغادة معيشتها كأنَّنا واياها جاران في دار

واستنتاج ذلك على ضربين الاول : أن يُعمَد الى ديوان احد الشعراء فتفحص ابياتهُ بنظرٍ دقيق وذهنٍ حافظ ويستخلص ما فيها من حكمة او وصف عادةٍ او ذكر موطن سواء كان هضبة او يفاعاً فيعلم من اخبار قوم ذاك الناظم واخبار سواهم بقدر ما جاء في شعرهِ . ثم يؤتى بديوان شاعر آخر فيخصَّص على هذا النحو ويكون لنا من ذلك ابحاث في مطالب شتَّى غير محكمة التبويب ولا منظَّمة التنسيق . والثاني : ان يُستكمَل البحث على ما مرَّ بيانهُ ثم يوضَع كل نوع من مطالب التاريخ في بابهِ الخاص ويقسم ذلك الباب الى ابحاث تتجلى فصولهُ ككواكب زواهر في أوج العنان وربارب اوانس في مجنى الطرس لا في الخيف والبان . وهذا السبيل اوعر مسلكاً وابعد مشقَّة ولكنهُ من جودة الوضع وغزارة الفوائد بمكان . وها انا ذا اضع بين ايدي قرَّاء المقتطف هذه الرسالة متضمنة لمعةً مقتطفة من اشعار الاقدمين مسندة الابيات الى اصحابها دفعاً لمحذور الريبة وقد جمعت بها لمحة من تاريخ العرب وعاداتهم واموالهم ومساكنهم وامثال هذه المباحث وقد سلكتُ في بعضها مسلك الجمع وهو الضرب الاول مما قرَّرتهُ وفي بعضها الآخر مسلك التبويب وهو الضرب الثاني رغبةً في ان يكون تلوُّن طرق البحث ادعى الى مرضاة المطالعين فابتدئ بالضرب الاول [1]

(١) قصيدة لعبيد بن الابرص الاسدي

١ القصيدة ٢ اعتبار الالوان ٣ شرب الخمرة ٤ لحية الملوك ٥ خرافة الهامة ٦ نزوح العرب في مواطنها ٧ موطن القبيلة الاصلي ٨ كون الملك عند العرب وراثياً ٩ مثل سهولة الانقياد ١٠ عشائر اسد

١ يا عينِ ما فابكي بني اسدٍ فهم اهل الندامه
٢ اهل القباب الحمر والـ نَّعم المؤثَّل والمدامه [2]

(١) في طريقة المبرد في الكامل والعاملي في الكشكول

(٢) النعم الابل خاصة والمدامة الخمر

٣ حلاً أبيتَ اللعنَ حـ لاَّ ان ما في قلت آمه (٣)
٤ في كلّ وادٍ بين بـ ـرب فالقصور الى اليمامه
٥ تطريب عانٍ او صيا ـح محرّق او صوت حامه
٦ ومنعتهم نجداً فقـد حلّوا على وجلٍ تهامه
٧ برمت بنو اسدٍ كما برمت بيضتها النعامه
٨ مهما تركت تركت عـ ـوًا او قتلت فلا ملامه
٩ انت المليك عليهم وهم العبيدُ الى القيامه
١٠ ذلّوا لسطوتكم كما ذلّ الاشيقر ذو الخزامه

البيت الاول من هذه القصيدة يدلّ على ان بني اسدٍ اقدموا على معصية ندموا عليها وهي عصيان مليكهم كما يستدَلّ من البيت التاسع

وفي البيت الثاني صفة ما تتميز به كرام العشائر من القباب والمال فنستدلّ منهُ ان اللون الاحمر خاصّ بالعظماء كما يؤيد ذلك قول ابي الطيب المتنبي

من الجآذر في زيّ الاعاريب حمر الحلي والمطايا والجلاليب (٤)

ولا بدع اذا اعتبروا اللون الاحمر ميزة لباس العظماء فانهم كانوا يعرفون الارجوان بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته

كأنّ ثيابنا منّا ومنهم خُضبنَ بارجوان او طُلينا

والارجوان لون ملكي اي انهُ خاصٌّ بالملوك وكبار الامراء وهو احمر وعليهِ فقد اتخذ العظماء اللون الاحمر ميزة للباسهم ولكن لم يكن هذا شأن العرب قاطبةً فملوك بني غسان اعتبروا اللونين الابيض والاخضر افضل الالوان واتخذوهما ميزة لهم قال النابغة الذبياني

يصونون اجسادًا قديمًا نعيمها بخالصة الاردان (٥) خضر المناكب

واما الاعشى ميمون فانهُ يقول في صفة حبيبتهِ

صفر الوشاح وملء الدرع بهنكة اذا تأتّى يكاد الخصر يخزلُ (٦)

وقد اخذ بقولهِ علقمة الفحل حيث قال

(٣) غضاضة
(٤) الجآذر جمع جؤذر ولد البقر الوحشية والجلاليب جمع جلباب وهو ضرب من الثياب
(٥) اي بيضاء الاردان
(٦) الوشاح والدرع ضربان من الملابس والبهنكة المتلئة البدن

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كأنها رشأ بالبيت ملزوم (٧)

و يُستَدَلُّ من هذا البيت ايضاً انهم كانوا يعتبرون النعم (اي الابل خاصةً) اشرف مقتنياتهم وان شرب المدامة دليل رغد العيش وبسطة الجاه وعزة الجانب ويؤكد ذلك قول امرىء القيس الكندي

حلَّت لي الخمر وكنت امرأً عن شربها في شُغُلٍ شاغلِ
اليوم فاشرب غير مستحقبٍ اثماً من الله ولا واغلِ (٨)

وقال تأبط شرًّا

حلَّت لي الخمر وكانت حراماً وبلأْي ما ألَمَّت تحلُّ (٩)

وجاء في شرح البيت الثاني من قول عنترة العبسي في صفة سيد قومه وبطلهم

ومشكٍّ سابغة هتكتُ فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة مُعْلِمِ (١٠)
ربذٍ يداهُ بالقداح اذا شتا هتَّاك غايات التجار ملوَّمِ

اراد بالتجار تجار الخمر ومفاد قوله هتاك غايات التجار ان لا يترك شيئاً من الخمر الاَّ اشتراه

وقال يزيد بن عمرو بن صعق

فنمتُ الليل اذ اوقعتُ فيهم قبائل عامرٍ وبني تميمِ
وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً اكادُ اغصُّ بالماء الحميمِ (١١)

وفي البيت الثالث (من قصيدة عبيد المتقدمة) وردت تحية يُستَدَلُّ من البيت التاسع انها احدى التحيات الواردة في تخاطبات الملوك . اقول احدى التحيات لا التحية الخاصة كما زعم البعض بدليل قول امية بن ابي الصلت في مخاطبة سيف بن ذي يزن تبَّع حميَر

سلامٌ ايها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التداني

وفي البيت الرابع عدَّد اماكن من بلاد العرب يُفهم من قرائن الحال انها منازل قبيلته وبالتالي نستنتج ان الملك الذي كان يخاطبهُ هذا الشاعر كان حكمهُ سائدًا هنالك

وفي البيت الخامس ما نستدلُّ منهُ ان خرافة الهامة كانت شائعة عند العرب . وخرافة الهامة في اعتقادهم انهُ اذا قُتِل أحدهم فلم يُدرَك ثارهُ خرج من رأسهِ طائر كالبومة وهو الهامة

(٧) الخرعبة الجارية الدقيقة العظام الناعمة والرشأ الظبي
(٨) المستحقب المدخر والواغل الداخل على القوم في شرابهم
(٩) اللأْي البطء والاحتباس
(١٠) السابغة الدرع وفروجها جيبها والمعلم ذو العلامة ادلالاً بشجاعته (١١) البارد

فتصيح على قبرو اسقوني اسقوني فان قتل قاتلهُ كفت عن ذلك . قال ذو الاصبع العدواني

يا عمرو إلاَّ تدعْ شتمي وسقصتي أضربْك حتى تقول الهامة اسقوني

ومن البيت السادس نستنتج ما يأتي (اولاً) ان لحجر قولاً مطاعاً في نجد كلها (ثانياً) ان العرب كانوا حينما ينالهم ضيم يغادرون منازلهم و يتحولون الى بلادٍ أخرى وهذا مؤيد من قول النابغة الذبياني ايضاً حيث قال

فدع عنك قوماً لا عتاب عليهم همُ الحقوا عبساً بآل القعاقع

اي انهم اخرجوهم من ارضهم فألحقوهم بالقعاقع (ثالثاً) ان ملكهم الذي ارتحلوا من ارضهِ خالعين نير طاعتهِ كان شديد البأس نافذ الصولة حتى انهم كانوا بعد مغادرتهم ارضهُ واستظلالهم بحمى سواهُ في وجل من ان يوقع فيهم لكونهِ جباراً لا يبالي بسواهُ . او لانهُ كان بين ملوك العرب معاهدات ومواثيق فيتمكن الواحد منهم ان يقتص ممن شقوا عصا طاعتهِ وان يزحوا من ديارهم الاولى . وهذان الفرضان يصحّان معاً او يصحّ احدهما حينما تقوم الادلة على صحة الدعوى وسيأتي معنا في خلال البحث ما فيهِ الكفاية

والبيت السابع نحتجّ بهِ على ان قبائل العرب المتبدّية وان رحبت الارض بهم وهان عليهم الترحّل والتنقل فان ثم منازل خاصة يحسبون الجلاء عنها اغتراباً فهم في ذلك كالحضريين من سكان المدن الذين يزحون من قطر الى آخر ولا يزالون تحافظين على الانتساب الى موطنٍ مخصوص وبالتالي نستنتج ان حب الوطن مغروس في قلوب الناس اجمع حتى في قلوب البدو الضاربين خيامهم كل يوم في بقعة من الارض ريثما ترعى مواشيهم كلاها وذلك يحقق ما جاء "ان حب الاوطان من الايمان"

ونستدلُّ من هذا البيت ايضاً على ان العرب كانوا يضربون مثل الملل والنحل بالنعامة الحاضنة بيضها

والبيت التاسع يدل على ان المُلك عندهم وراثي للملك ونسلائهِ من بعدهِ ما لم تسلبهُ يدٌ غالبة كما يدل على اعتقاد قبيلة ذاك الشاعر بيوم القيامة وسنشبع الكلام في البحث الاخير في الفصل الذي نتكلم بهِ عن اديان العرب

والبيت العاشر ينتج منهُ ان الملك دوّخ القبيلة فعادت الى طاعتهِ مستكينة صاغرة كما يستدل منهُ ان العرب كانوا يضربون مثل سهولة الانقياد بالاشيقر ذي الخزامة اي البعير كما قال العباس بن مرداس السلمي

لقد عظم البعيرُ بغير لبٍّ فلم يستغنِ بالعظم البعيرُ

يصرّفهُ الصبيُّ بكل وجهٍ ويجبسهُ على الخسف الجرير (١٢)
وتضربهُ الوليدة بالهراوى فلا غيرٌ لديهِ ولا نكير (١٣)

فهذه الابيات العشرة على قلتها عدداً قد دلّت على امورٍ عديدة من اخبار بني اسد منها تعيين حكامهم ونوعية ملكهم واماكن سكناهم ونزعات نفوسهم ومفاخرهم ومتنياتهم وشرابهم وتحيات ملوكهم وامثالهم . وهذه الادلة اذا وزناها بميزان التبصر نجدها اثبت دلالة من الحروف الهيروغليفية على هياكل المصريين ومن الحروف الاسفينية التي حفظت اخبار الكلدانيين الاقدمين

واذا تبعنا اقوال هذا الشاعر (عبيد بن الابرص) ناظم هذه القصيدة وامعنا النظر في علاقات الحوادث يمكننا ان نجزم ان بني اسد قبيلة ذات عشائر منها دودان وهي عشيرة هذا الشاعر لقوله

قومي بنو دودان اهل الحجى يوماً اذا القحطُ الحائلُ

وان ملكهم الذي شغبوا عليهِ كان حجر بن عمرو بن الحارث بن عمرو الكندي بدليل قولهِ

ياذا الخوفنا بقتـ ـل ابيهِ اذلالاً وحينا (١٤)
ازعمت انك قد قتـ ـتَ سراتنا كذباً ومينا (١٥)
هلاَّ على حجر ابن ام قطام تبكي لا علينا
الى ان يقول هلاَّ سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا أين اينا
ومنها . وجموع غسّان الملو ك اتيتهم وقد انطوينا
ولقد ابحنا ما حمـ ـتَ ولا مبيح لما حمينا

فاننا نستنتج من هذا ان المخوّفهم ملك من كندة وانهُ ابن حجر المقتول . ولم يتهدَّد بني اسدٍ ملك من ملوك كندة ابوهُ يدعى حجراً الاَّ امرؤُ القيس . فامرؤُ القيس اذن هو خصم عبيد . لا بل لنا من قول عبيد

تمنّى مُرّيء القيس موتي وان أمُتْ فتلك طريق لستُ فيها بأوحدِ

قرار صريح بان خصم عبيد هو امرؤُ القيس لان مُرّيء القيس تصغير امري القيس للازدراء

واذا ثبت لنا ان خصيم عبيد هو امرؤُ القيس فقول عبيد " ازعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا " جاء تفنيداً لقول امريء القيس

(١٢) الجرير الحبل (١٣) الهراوي جمع هراوة وهي العصا الضخمة والغير جمع غيرة وهي الفخوة والنكير الانكار
(١٤) الحين الهلاك (١٥) السراة السادة المين الكاذب

قد تركت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان اد تقذف اعلاهم على السافل

ومالك وعمرو وكاهل وغنم بن دودان عشائر من اسد . فمن هذين البيتين نعرف اسماء بعض عشائر اسد معرفة لا وجه للشك بصحتها امين ظاهر خير الله

احتفال برتلو وخطبته

مضى خمسون سنة على العلّامة الاستاذ برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور منذ نشر اول تأليف علمي من تآليفه فاحتفل الفرنسويون بذلك احتفالاً باهراً في مدرسة السوربون بباريس في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر الماضي برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية وكان معهُ وزراؤهُ وسفراء الدول ونوّاب الجمعيات العلمية الفرنسوية والاجنبية

ونادي السوربون يسع ثلاثة آلاف نفس فكان غاصّاً بجلّة القوم الذين حضروا اكراماً لشيخ الكيماويين الفرنسويين في هذا العصر وكان في النادي تماثيل اشهر رجال فرنسا الذين اعلوا مقامها العلمي بين ممالك الارض مثل روبرت ده سوربون منشئ مدرسة السوربون ورشليه وباسكال وده كارت ولافوازيه ورولين . وكانت تماثيل اولئك العظام حضرت بدلاً منهم لتحيي من استحق بعلمهِ وعملهِ ان يُقرن اسمهُ باسمائهم